التفكير اللغوي عند المتكلمين بين الخلفيات المعرفية والأصول الإعتقادية

الطالب الباحث: نبيل ربيع طالب
مخبر إسهامات المغاربة في إثراء الدراسات الإسلامية
قسم اللغة والحضارة الإسلامية _جامعة باتنة_1_

ملخص البحث

تعد اللغة العربية عامل أساسي في ترسيخ العقيدة والفكر الإسلامي، وإذا عدنا إلى علماء الكلام لوجدناهم مدرسة فكرية عقلانية وحركة ثقافية تبلورت في المجال التداولي الإسلامي، حيث سمح لها جملة من المعطيات بتطوير أصول عقدية شكلت خلفية معرفية بنو عليها تصورات عقلانية متجانسة في قضايا العقل والوجود واللغة

ولي أن أسجل أن دور العربية في فكر المتكلمين قد نالت الحظ الأوفر ، هذا وإن دل فإنما يدل على دور اللغة العربية في ترسيخ وتدعيم الفكر الإسلامي فكرا وعقيدة.

Résumé

La langue arabe et un facteur clé dans l'établissement de la doctrine et de la pensée islamique, et si nous revenons à parler aux scientifiques de Ojdnahm école de pensée mouvement rationnel et culturel cristallisé dans le domaine délibérative islamique, où il lui a permis à une série de données pour développer des actifs nodaux formés les connaissances de base des enfants des perceptions de homogène rationnelle à l'esprit et les questions de présence et de langue

المقدمة:

الحمد الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين، وبعد.

فقد حظيت اللغة باهتمام الإنسان منذ صغره، نظرا لأهميتها في ترسيخ العقيدة والأفكار الإسلامية، ولانشغال الكثير من المتكلمين بالدرس اللغوي

ومحاولة فهم الظاهرة اللغوية والبلاغية، من منطلق وجودها الفعلي المتمثل في الكلام وإنجازه وتحققه، بما يسمح بتحديد أسس التفكير في اللغة والبلاغة ويحقق درجة توليفية أرفع من الإدراك التصوري لها، إضافة إلى بيان أوجه التعالق الجدلي بين هذا التصور وبين الأصول الاعتقادية والخلفيات المعرفية ، وكيف تتحول هذه الأسس في الآن نفسه إلى مرتكزات للنظر في الظاهرة اللغوية وأداة للاستدلال على أصول المذهب وآليات لفهم الخطاب الديني وتأويله.

وفي ضوء ذلك شرعت في بحثي هذا إلى إبراز المرتكزات التي بنى عليها توظيف القضايا اللغوية في المناظرات الكلامية. وفق مخطط الدراسة على النحو التالي:

المبحث الأول: تحديد المفاهيم وتوضيح الأفكار والمسائل الكلامية الكبرى.

المبحث الثاني: قوة الاستدلال اللغوي لدى عقيدة أهل السنة والجماعة في الإفحام والرد.

المبحث الثالث: توظيف المعاني اللغوية في رفع الشبه والإشكالات.

المبحث الرابع: أسباب الخلاف والنزاع عند المتكلمين.

ثم ختمت البحث بأهم النتائج المتوصل إليها.

المبحث الأول: تحديد المفاهيم وتوضيح الأفكار والمسائل الكلامية الكبرى.

استخدم أهل الكلام اللغة ومباحثها لتوضيح الكثير من المباحث والمسائل العقائدية في الفكر الإسلامي، ولكي نسلط الضوء على هذا التوظيف اللغوي لابدا من سرد نماذج التي من خلالها يتأكد لدينا هذا المعنى بكل وضوح ودقة متناهية.

بداية نورد تعريف علم الكلام، فقد سماه الغمام أبو حنيفة_ صاحب المذهب الحنفي_ بالفقه الأكبر[1].أما الفقه فهو كل الدراسات التي تتعلق بالإسلام علميا أي ذات الطابع الوضعي [2] العملي.

أو لأنه لابتنائه على الأدلة القاطعة المؤيد أكثرها بالأدلة السمعية أشد العلوم تأثيرا في القلب وتغلغلا فيه، فسمي بالكلام المشتق من الكلم، وهو الجرح[3].

وفي شرح معنى الوحدانية كمفهوم عقائدي أصيل في الفكر الإسلامي ن يوضح العلامة الباجوري نسبة هذا اللفظ (الوحدانية) لغويا قبل شرحه من حيث الاصطلاح العقائدي فيقول: وهي (أي الوحدانية) بفتح الواو نسبة إلى الواحد، فياؤها للنسب والألف والنون للمبالغة، كما في رقباني نسبة للرقبة، وشعراني نسبة للشعر[4].

فهذا استخدام لمفهوم التأصيل اللغوي للكلمات قبل شرحها من حيث الاصطلاح.

ومفهوم الاشتقاق الذي هو من المصطلحات الصرفية التي تعني(نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتها معنا وتركيبا ومغايرتهما في الصيغة وينقسم إلى اشتقاق أصغر وكبير وأكبر)[5].

استعمل في أدق مبحث كلامي ألا وهو علاقة الصفات بالذات الإلهية ؛ حيث وضح الأشاعرة معنى الصفات الثبوتية، بأنها صفات زائدة على ذات، بخلاف قول معتزلة بوجودها لكن بعدم زيادتها على ذات الإلهية؛ وبين الأشاعرة معنى ثبوت هذه الصفات وزيادتها، أن معنى سميع وبصير ومتكلم وقادر ومحي ومريد

وعالم، ذات ثُبت لها السمع والبصر والكلام...، لأن من لم يقم به وصف لا يشتق له منه اسم، فلا لا يقال قائم إلا لمن اتصف بالقيام؛ ولا قاعد الا من اتصف بالقعود وهكذا[6].

وأكد العلامة التفتازاني وغيره من أعلام المدرسة الأشعرية هذا المعنى من زيادة الصفات على الذات؛ بالقاعدة الصرفية التي تقول: يمتنع إثبات المشتق للشيء من غير قيام مأخذ الاشتقاق منه.

أي أن أهل اللغة لا يفهمون من سميع وبصير, إلا ذاتا ثبت لها السمع والبصر، الإطلاق المشتق وصفا لشيء يقتضي ثبوت مأخذ الاشتقاق[7].

وإذا توقفنا عند قضية أفعال العباد أو مفهوم الجبر والاختيار بلغة أخرى ،أو بتعبير آخر الصلة بين القدرة الإلهية العامة المطلقة، والقدرة الإنسانية. لوجدنا العلماء قد وضعوا الكلام معنى الفعل في هذه القضية؛ لكونه الحاصل بالمصدر، حيث قالوا وهم يشرحون كلام الأشاعرة من الإنسان في أفعاله الاختيارية ليس له إلا الكسب، وأما الفعل فهو مخلوق لله تعالى، بخلاف المدرسة الاعتزالية القائلة بأن الإنسان خالق لأفعاله بقدرة أودعها الله فيه (لم نرد بالفعل المعنى المصدري الذي هو الإيجاد والإيقاع، بل الحاصل بالمصدر الذي هو متعلق الإيجاد والإيقاع أي ما يشاهد من حركات والسكنات والأفعال)[8].

ولكي نعطي الصورة بشكل أوسع وأوضح في استخدام علماء العقيدة للمعاني اللغوية نأتي بنماذج أخرى حتى يتوضح هذا المبحث بشكل جيد من أن العلماء يوضحون المعاني العقائدية والفكرية بالمسائل اللغوية.

ففي أفعاله تعالى والتي يعبر عنها بصفات الأفعال من الكون والخلق والرزق والإحياء والإنعام ،وغيرها من أفعاله تبارك وتعالى، يؤكدون أن أفعال الله تعالى لا تتصف بالأغراض التي قد تكون سببا باعثا وحاملا على الفعل، لأن هذا الأمر تتصف به المخلوقات التي قد تحتاج إلى ذلك، وقد يقال أن قوله تعالى:{ **وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون**}[9] بأن اللام هنا للتعليل مما يوقع في إشكال غير مقبول، فوضع علماء العقيدة أن اللام في اللغة العربية لها أكثر من معنى وهي لا تقتصر على مفهوم التعليل ويقول المتكلمون أن اللام في الآية هي للعاقبة سيرورة بمعنى أنها تبين ما صار إليه الحال والأمر من معنى العبادة والخضوع والانقياد له سبحانه وتعالى[10].

ونختم هذه الأمثلة التي من خلالها يتضح معنى هذا المبحث بمثال يختص بشرح معنى الجسم عند المتكلمين، حيث أثبت علماء المدرسة الاشعرية أن الأجسام مؤلفة من الجواهر ن وأن أقل ما يتركب عليه الجسم من جزأين فصاعدا وهذا خلاف ما

ذهب إليه كثير من أنصار المدرسة الاعتزالية من أن الجسم هو الطويل العريض العميق[11].

فيوضح المحققون من الأشاعرة هذا المعنى بقولهم: بأنه يقال لأحد الجسمين إذا زيد عليه جزء واحد أنه أجسم من الآخر ، فلولا أن مجرد التركيب كاف في الجسم لما صار بمجرد زيادة الجزء أزيد في الجسمية... ويقال جسم الشيء أي عظم فهو جسيم وجسام بالضم، والمعاني اللغوية تكون مرعية في الألفاظ المنقولة[12].

فهذه أمثلة تؤطد استعمال علماء الكلام للغة ، حيث وظفوها لشرح وتوضيح المعاني الكلامية، حيث أستخدم جميع علماء اللغة في توصيل المفاهيم العقائدية، واللغة العربية هي لغة القرآن الكريم الذي شرح الدين من خلال هذه اللغة، فأهل الكلام وعلماء الأمة على الإطلاق كانوا على قدر كبير من المعرفة اللغوية بكل معانيها، لأن اللغة العربية هي أساس في فهم القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة ، والذي ليس له الدراية اللغوية لا يوثق بعلمه ولا يستطيع أن يشرح عقيدته بشكل جيد ، فاللغة هي الطريق التي من خلالها يوضح العلماء أرائهم وأفكارهم.

المبحث الثاني: قوة الاستدلال اللغوي لدى عقيدة أهل السنة والجماعة في الإفحام والرد.

إن العقيدة الحقة لا بد لها من أدوات تستخدم كمعين لنصرة هذا الحق، وأهل السنة وظفوا علوم شتى لنصرة الآراء الكلامية التي استقوها من القرآن والسنة النبوية الشريفة، مثل علم التفسير وعلم التاريخ وعلم المنطق والفلسفة وعلم آداب البحث والمناظرة، وكذلك علم اللغة العربية التي نزل بها التشريع الأهي.

وعلم العربية الذي هو محل بحثنا في هذا المبحث دخل في مجالات كثيرة وذلك لسعة اللغة وعلومها، ففي المبحث السابق تكلمنا عن استخدام اللغة كوسيلة لتوضيح الآراء والأفكار الكلامية، وفي هذا المبحث نؤكد على أن علماء العقيدة وظفوا المعاني اللغوية لنصرة مذهب المدرسة الأشعرية التي هي المعبرة والناطقة الرسمية

على لسان مذهب أهل السنة والجماعة ، وذلك لكثرة الأدلة وقوة الاستدلال التي تمتلكها.

فمثلا في مسألة الرؤية التي هي إحدى مسائل النزاع ذات الصفة الهامة بين أهل السنة والجماعة والمعتزلة، وهذه المسألة ترجع إلى الاختلاف في تصور ذات الله تعالى، وتصور ما يجب أن يكون من نسبة بين الشخص الرائي والموضوع المرئي[13].

يستدل المتكلمون بأدلة على ثبوت الرؤية منها قوله تعالى حكاية عن سيدنا موسى عليه السلام**{ قال رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ولكن انظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني}**[14].

وهذه الآية الكريمة أستدل من خلالها أهل السنة والجماعة على ثبوت الرؤية لله تعالى في الآخرة لمن يشاء من عباده وذلك بقولهم: أن الله تعالى نفى الرؤية التي طلبها سيدنا موسى عليه السلام، ولم يقل له كيف تطلب مني ما لا يجوز في حقي ، علما أن سيدنا موسى عليه السلام نبي من أولي العزم يدرك حق الإدراك ما يجوز في حقه تعالى وما لا يجوز ، فلو كان يعلم أن الرؤية مستحيلة لما أستساغ لنفسه أن يطلبها، وأهل اللغة العربية يعلمون أن المتكلم لا ينفي شيئا إلا حيث يجوز ثبوته[15].

ويلاحظ من الكلام السابق كيفية توظيف معنى النفي في العربية في تثبيت دليل أهل السنة على جواز الرؤية في الآخرة.

وأما المعتزلة فكان عمدتهم في الاستدلال بالآية على أن نفي الرؤية ب(لن) والتي تفيد بدلالتها على تأبيد النفي، بمعنى أن الرؤية لا تجوز لا في الحال ولا في المستقبل ، هذا الكلام منقول عن العلامة الزمخشري[16].

ويرد أهل السنة على الكلام المعتزلة ودلالة (لن) التي نقلت عن العلامة الزمخشري، بأن هذا الكلام مخالف لكلام العرب، ولم يسبق الزمخشري إليه أحد من علماء اللغة، ولن عند العرب تفيد النفي من غير التأبيد وهو ما أتفق عليه أهل اللغة[17].

ويلاحظ من هذا المثال أن اللغة العربية وظفت لنصرة مذهب المتكلم سواء كان من المدرسة الأشعرية أم غيرها من المدارس الكلامية، كما يستنتج كذلك قوة الاستدلال اللغوي وقوة الأدلة المقدمة من طرف أهل السنة والجماعة في الرد وإفحام الخصوم.

وفي مسألة الإضلال والهداية، وهل لله تعالى أن يضل من يشاء ويهدي من يشاء، لأنه لا يسأل عما يفعل؟ أو أن ذلك لا يمكن وإلا كان مما لا يتفق مع عدالته التامة؟ وهذه المسألة مختلف فيها بين أهل السنة والمعتزلة ترجع إلى موضوع العمل بين الله والإنسان[18].

ينصر المتكلمين الممثلين للمدرسة الأشعرية معنى الهداية التي هي بمعنى خلق الهداية والإضلال لأنه تعالى هو الخلق وحده ، بأدلة منها ما ذكره العلامة التفتازاني في إثبات لكلام أهل السنة حيث قال: وقد تضاف الهداية إلى النبي صلى الله عليه وسلم مجازا بطريق التسبب كما سند إلى القرآن، وقد تسند الضلالة إلى الشيطان مجازا، كما سندت إلى الأصنام...أن الهداية عندنا خلق الاهتداء، ومثل هداه الله فلم يهتد مجازا عن الدلالة والدعوة إلى الاهتداء[19].

ولا نذهب بعيدا عن مبحث خلق الأفعال وأن الله هو الخلق وكل شيء وليس الإنسان من فعله إلا الاكتساب، يستدل القاضي الباقلاني بكلام العرب ولغتهم على أن الله خلق الأفعال الإنسان خلافا للمعتزلة القائلين بأن الإنسان خالق لأفعاله الاختيارية بقدرة خلقها الله فيه، فيقول: (إن لفظة افعل في كلام العرب يرد بها إثبات الحكم لأحد المذكورين وسيلة من الأخير من كل وجه، وذلك كما في قوله تعالى{ **أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا**} فاثبت حسن المقبل لأهل الجنة مع حسن المستقر ، وسلب ذلك عن اهل النار .

لان أهل النار ليس لهم حسن مستقر ولا حسن مقبل، وذلك في قوله تعالى {**فتبارك الله أحسن الخالقين**} أثبت الخلق لله تبارك وتعالى لأنه هو المتفرد به دون غيره، كما يقول القائل: العسل أحلى من الخل لا يريد أن للخل حلاوة بوجه، بل

يريد إثبات الحلاوة للعسل وسلبها عن الخل أهلا ورأسا[20]. ونختم هذا المبحث بمفهوم الإيمان عند أهل السنة والجماعة ، الذي هو التصديق القلبي فقط.

وإما النطق والعمل فما هما إلا مجرد شرط لإجراء الأحكام الدنيوية على العبد وهذا الكلام مخالف لما ذهب إليه المعتزلة والخوارج من القول بأن الإيمان هو مجموع الإقرار باللسان والتصديق بالجنان والعمل بالأركان[21].

وأستدل المتكلمون الأشاعرة على أن الإيمان هو التصديق القلبي فقط بما جاء في اللغة العربية من أن معنى الإيمان في اللغة هو التصديق فيستعمل شرعا في تصديق خاص، حيث قال السيد الشريف الجرجاني في معرض الرد على ما ذهب إلى القول بنقل معنى الإيمان عن مجرد التصديق، بقوله: (وذلك لأن الشرع إنما يخاطب العرب بلغتهم ليفهموا ما هو المقصود بالخطاب فلو كان لفظ الإيمان في الشرع مغايرا عن وضع اللغة لتبين للإحالة نقله وتفسيره بالتوقيف ، كما تبين نقل الصلاة والزكاة وامتثالهما، ولا اشتهر اشتهار نظائره بل كان هو بذلك أولى[22].

وكذلك أستدل الأشاعرة على عدم دخول العمل في مفهوم الإيمان الذي هو التصديق عندهم بقوله تعالى:{**إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات**}[23].

فقال العلماء:(إن عطف الأعمال على الإيمان يقتضي المغايرة لأن العطف عند النحويين يقتضي المغايرة وعدم دخول المعطوف في المعطوف فيه، وهذا هو مفهوم العطف على ظاهره فيجب العمل به كسائر الظواهر ، فلا يرد على هذا الكلام بأنه لما لا يجوز أن يكون عطف اهتماما بشأنه[24].

فمن خلال هذه الأمثلة وغيرها المنشور في كتب أهل الكلام، نجد أن المتكلمين استعانوا بالمعاني اللغوية لتثبيت أرائهم وأفكارهم الكلامية وهذا غير محصور بالمدرسة الأشعرية الممثلة لأهل السنة والجماعة بل كل مدرسة فكرية استخدمت علوم اللغة العربية لتقوية ما ذهبت إليه من أراء وأفكار، مما يعطينا الدليل القوي على اثر اللغة العربية وأهميتها عند المتكلمين بكل تياراتهم وأفكارهم.

المبحث الثالث: توظيف المعاني اللغوية في رفع الشبه والإشكالات.

إن اللغة العربية وعلومها كانت الأساس في دفع الكثير من الشبه والإشكالات التي دارت في فهم الكثير من النصوص القرآنية أو الأحاديث النبوية الشريفة، حيث وظف علماء العقيدة اللغة في رفع الشبه وما تجر إليه من معاني التشبيه أو تجسيم، التي لا ينبغي لعاقل أو مؤمن أن يعتقد بها ، فنحن نجد في القرآن الكريم ما يدل إن أخذ حرفيا على ظاهره ،على أن الله تعالى عن ذلك الجسم له عينان ويدان وساقان وقدم، دون بيان كيفية شيء من ذلك، ونجد مثل هذا في الحديث الشريف أيضا، وكان من ذلك إن وجد في المسلمين من ذهب إلى التشبيه في ذات الله تعالى.

وفكرة التشبيه معناها الذهاب إلى أن بين الله تعالى والإنسان وجوه شبه في الذات، أو في الصفات، أو في كليهما معا[25].

ولكي نوضح هذا المبحث لا بد من استئناس بنماذج حتى تكون على بصيرة في فهم أثر اللغة في رفع ودفع كل المفاهيم الدخيلة عن الدين الإسلامي.

أ.في إضافة (**اليد**) إلى الله تعالى تجد قوله تعالى:{ **وقالت اليهود يد الله مغلولة...بل يداه مبسوطتان**}[26]. وقوله تعالى خطابا لإبليس حين أبى السجود لآدم { **ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي**}[27].وقوله { **إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم**}[28] فما يتصل بهذه الآيات التي جاء فيها ذكر اليد على سبيل الإفراد أو التثنية مضافة لله تعالى، نرى المتكلمين يجعلونها تارة كناية عن وصف الله بالكرم كما في آية المائدة، بل يداه مبسوطتان، وتارة كناية عن النعمة والنصرة كما في آية الفتح، يد الله فوق أيديهم، أي نعمة الله على الذين بايعوا الرسول أكبر من نعمهم هم على الرسول بمبايعته، أو نصرة الله إياهم أقوى وأعلى من نصرتهم إياه، وتارة يراد بها القوة والقدرة في الآية التي فيها ذكر أن الله خلق آدم بيديه[29].

ب.مثلا في الوجه نجد قوله تعالى: {**كل شيء هالك إلا وجهه**}[30] وقوله { **ويبقى وجه ربك**}[32]

وقوله{ **إنما نطعمكم لوجه الله**}[32]. فقد أول المتكلمون الآيات التي جاء فيها ذكر الوجه كلها بالذات نفسها، مستندين إلى اللغة العربية، من أن الذات هو بعض ما يراد لغة بالوجه، وإلى هذا ذهب الزمخشري حيث قال: (والوجه يعبر عن الجملة والذات، ومساكين مكة يقولون أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان)[33].

ج. وكذلك في معنى الاستواء في قوله تعالى{**الرحمن على العرش استوى**}[35]نجد أقوال المتكلمين في تفسير معنى الاستواء في هذه الآية مستندين لمعانيها في اللغة العربية، فمن فسر الاستواء بمعنى الاستيلاء مستشهدين بقول الشاعر:

قد استوى بشرٌ على العراق من غيرِ سيفٍ ولأدم مهراق[35]

أو يراد بالاستواء القصد كقوله تعالى{ **ثم استوى إلى السماء وهي دخان فقال لها وللأرض إئتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين**}[36] وقد توقف بعض المتكلمين في تفسير معنى الاستواء.

المبحث الرابع: أسباب الخلاف والنزاع عند المتكلمين.

كثيراً ما يحدث الخلاف ويتعدد بسبب الأفكار واختلاف وجهات النظر في المسائل العلمية بشكل عام والعقائدية بشكل خاص، وبمجرد تحديد دائرة الخلاف يتضح المعنى، ويتضح المنشأ الذي انبنى عليه الخلاف، ولهذا نجد علماء الفكر الإسلامي من أهل الكلام يؤكدون على بيان الموطن والأصل الذي كان سببا للخلاف، ومن تلك المواطن التي يرجع إليها الخلاف مفهوم اللغة ومعانيها، مما يظهر أثر اللغة في الفكر الإسلامي، فمن أمثلة التي تؤكد هذا المبحث(صفة التكوين) التي قال بها بعض العلماء وأقصد بهم علماء ما وراء النهر أتباع الشيخ ابي منصور الماتوريدي(333هـ_944م) حيث قالوا بان التكوين الذي هو مفهوم صفات الأفعال، من التخليق والترزيق والإحياء والإماتة إلى غير ذلك، من الصفات

الثبوتية لله تعالى (أي صفات المعاني) وليست هي تابعة لصفة القدرة والإرادة، كما قال بذلك جمهور المتكلمين الممثلين للمدرسة الأشعرية[39].

ع علماء العقيدة أن سبب في هذا الخلاف يرجع إلى أن من قال بهذه الصفة رأي أن الله تعالى وصف ذاته العلية في كلامه الأزلي لأنه الخالق فلو لم يكن خالقا لزم الكذب في كلامه تعالى أو القول بأنه خالق فيما يستقبل من الزمان على اعتبار لامه تعالى فيه معنى المجاز أي الخالق فيما يستقبلن وهذا ما قال به علماء المدرسة الاشعرية، بان صفة التكوين ليست إلا القدرة مع الإرادة وما ورد من أنه تعالى خالق فهو عن طريق المجاز، لماذا العدول على المجاز مع غير تعذر إبقاء المعنى على حقيقته كما هو رأي الماتوريدية[40].

فيظهر من هذا الخلاف أن مرجعه إلى الفهم اللغوي فمن قال بهذه الصفة أخذ الكلام على الحقيقة، ومن قال بأن هذه الصفة ليست إلا القدرة زائدة الغرادة أخذ لكلام على معنى المجاز، فنرى من خلال هذا المثال أثر المعنى اللغوي في الخلافات الكلامية[41].

ويقول القاضي الباقلاني:(أن أول شيء على المكلف هو المقدمة الأولى من الدليل الموصل لمعرفة الله تعالى) [42].

وبعد سرد هذه الأقوال من علماء الكلام، نستأنس بقول الإمام فخر الدين الرازي صاحب مفاتيح الغيب (إن الخلاف في هذه المسألة يرجع إلى الفهم اللفظي وذلك لأن من قال إن أول الواجبات هو المعرفة، إنما عني أن أول الواجبات من المقاصد الاعتقادية والمعرفية، ومن قال إن أول الواجبات هو النظر، أو المقدمة الأولى منه، أو القصد إلى النظر، إنما عني أو قصد إنما ذكر أول الواجبات من حيث أنه يتوقف عليه الواجب من المقاصد الاعتقادية[43].

وفي مبحث الأسماء والصفات، نرى اختلاف العلماء في جواز إطلاق الشيئية على الذات الإلهية، حيث من ذهب إلى الجواز استخدام علم العربية في تأييد رأيه، وأستدل بقوله تعالى:**{قل أي شيء أكبر شهادة قل الله}**[44]، وقوله تعالى:**{ كل**

شيء هالك إلا وجهه}[45]بناءاً على الأصل في العربية أن الاستثناء متصل، فهو تعالى شيء لكن ليس كالأشياء، ومن منع هذا الإطلاق أستند على أن أسماءه تعالى توقيفية لا مجال ولا جواز لإطلاق اسم من دون ورود الشرع.

فمن خلال هذه الأمثلة وغيرها يتضح أن مرجع الكثير من الخلافات في المسائل الكلامية يعود إلى معاني لغوية لا حقيقية، وإن كل فكر أستخدم اللغة في ترجيح كلامه، وعند تحرير محل الاختلاف نجد أن مرجع هذا الخلاف يعود إلى مفاهيم لغوية ومعاني ترجع إلى فهم كل فريق ما استقاه من فهمه.

خاتمة ونتائج:

على ضوء ما تقدم من الكشف عن مختلف أشكال الإدراك والمعاقلة التي مارسها أهل الكلام في فهم الظاهرة اللغوية والبلاغية، من منطلق وجودها الفعلي المتمثل في الكلام وإنجازه وتحققهن بما يسمح بتحديد أسس التفكير في اللغة والبلاغة، يمكن تسجيل النتائج التالية

1_ أن اللغة العربية هي الدعامة الأساسية في نشر الفكر الإسلامي وعقيدته، وذلك لتوظيفها في توضيح الأفكار والمعاني الكلامية وتقريب الأصول العقدية للمسلم.

2_استخدام اللغة في نصرة المذهب السلفي (الاشاعرة) ، لأنهم ملكوها أولا ثم اتخذوها وسيلة لنصرة فكرهم.

3_ مكانة اللغة العربية في حل الكثير من الإشكالات والشبه التي وقع فيها أغلب الإسلاميين في فهم الجوانب الشرعية.

4_ تشعب الفرق والمدارس بسبب تعدد المعاني والدلالات اللغوية.

هوامش:

1_ الفقه الأصغر هو علم الشرائع والأصول أو علم الأحكام المتعلقة بالتطبيق العملي للدين الإسلامي، بينما الفقه الاكبر هو علم الكلام أو علم أصول الدين .

2_ المشكلات التي تعترض الإسلام في حياتهم اليومية.

3_ التفتازاني، سعد الدين مسعود بن عمر، شرح النسفية، ط 1، الشركة العثمانية للطباعة، سنة 1326هـ، ص:.15

4_ الباجوري، إبراهيم بن محمد ،تحفة المريد حاشية على جوهره التوحيد، طبعة القاهرة، مصر، ج1، ص.54

5_الجرجاني ، علي بن محمد، التعريفات، دار الشؤون الثقافية، بغداد ، العراق، ص.22

6_الباجوري، إبراهيم بن محمد، حاشية الباجوري على متن السنوسية، شركة وطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، القاهرة، مصرن 1955م، ص.33

7_التفتازاني، شرح النسفية، ص.89

8_الباجوري، تحفة المريد، ص .58

9_سورة الذاريات: الآية.56

10_الباجوري، حاشية الباجوري على السنوسية، ص.27

11_ الإيجي، عبد الرحمن عضد الدين، المواقف في علم الكلام، علم الكتب، بيروت لبنان، ص 112. ومحمد رمضان عبد الله، الباقلاني وآراؤه الكلامية، مطبعة الامة، بغداد ،1986، ص.335

12_التفتازاني، شرح النسقية، ص 49.وحاشية عصام الدين شرح النسفية، ص .715

13_محمد يوسف موسى ، القرآن والفلسفة، ط 4، دار المعارف، القاهرة،1982، ص.89

14_سورةالأعراف:الآية .143

15_ الجويني،عبد الملك بن عبد الله، الإرشاد إلى قواطع الأدلة، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة ، مصر،1369هـ_1950م،ص143. والشهرستاني، محمد بن محمد، نهاية الإقدام، تحقيق: الفريد كيو، لندن،1964م،ص 367. محمد محي الدين، عبد الحميد،النظام الفريد، بتحقيق جوهرة التوحيد،ط3، مطبعة السعادة، مصر، 1375هـ_1955م، ص.167

16_الجرجاني، علي بن محمد، شرح المواقف،ط1،مصر، 1325هـ، ج8، ص.117

17_الباجوري، تحفة المريد، ج2ن ص17ز

18_محمد يوسف موسى، القرآن والفلسفة،، ص.138

19_التفتازاني، شرح النسفية،ص .129

20_الباقلاني، أبو بكر بن محمد بن الطيب، الإنصاف فيما يجب إتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: الشيخ محمد زاهد الكوثري، ط2، مؤسسة الخانجي، ص .165

21_الباجوري، تحفة المريد، ج1، ص.41

22_الجرجاني، شرح المواقف،ج8ن ص253_254، إبراهيم مصطفى ،واحمد الزيات، ومحمد علي النجار، وبإشراف عبد السلام هارون ،المعجم الوسيط،،دار إحياء التراث العربي،بيروت_لبنان، ج3،ص.27

23_سورة الكهف:الآية.107

24_التفتازاني، شرح النسفية،ص156.

25_محمد يوسف موسى، القرآن والفلسفة،ص.68

26_سورة المائدة:الآية.64

27_سورة ص: الآية.75

28_سورة الفتح: الآية.10

29_الرازي، فخر الدين،تفسير مفاتيح الغيب،ج8ص17،و ج5ص.644

30_سورة العنكبوت:الآية.88

31_سورة الرحمن:الآية.22

32_سورةالإنسان:الآية .29

33_الزمخشري، جار الله، الكشاف ، ج4،ص.51

34_سورة طه:الآية.5

35_الإيجي، المواقف،ص.297

36_سورة فصلت:الآية.11

37_الإيجي، المواقف،ص299ز

38_التفتازاني، شرح النسفية،ص.97

39_كمال الدين بن محمد ابن أبي الشريف، المسامرة شرح السايرة،مطبعة السعادة، مصر،1347هـ،ص85_.86

40_محي الدين عبد الحميد، النظام الفريد، ص.41

41_محمد بن عمر الرازي، محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ط1، دار الكتاب العربي، 1402هـ_1984م،ص.65

42_سورة الأنعام:الآية.19

43_سورة القصص:الآية88.

قائمة المراجع:

1_الجويني، عبد الملك بن عبد الله، الإرشاد إلى قواطع الأدلة، تحقيق: محمد يوسف موسى، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، مكتبة الخانجي، مطبعة السعادة، مصر، سنة 1369هـ_1950م.

2_الباقلاني، أبو بكر محمد بن الطيب،الإنصاف فيما يجب اتقاده ولا يجوز الجهل به، تحقيق: الشيخ محمد زاهد الكوثري، ط3، مؤسسة الخانجي،1932م.
3_محمد رمضان عبد الله، الباقلاني وآراؤه الكلامية، مطبعة الأمة، بغداد،1986م،
4_الباجوري، إبراهيم ابن محمد، تحفة المريد حاشية على جوهرة التوحيد، القاهرة،مصر،بدون تاريخ.
5_الجرجاني،علي بن محمد، التعريفات،دار الشؤون الثقافية، بغداد، العراق.
6_الرازي، فخر الدين، تفسير الرازي المسمى مفاتيح الغيب.
7_الباجوري، إبراهيم بن محمد، حاشية الباجوري على متن السنوسية، مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، القاهرة،مصر، 1955م.
8_التفتازاني،سعد الدين مسعود بن عمر، شرح النسفية،ط1، الشركة العثمانية للطباعة،1326هـ.
9_الجرجاني،علي بن محمد،شرح المواقف،ط1،مصر، 1325هـ.
10_التفتازاني، سعد الدين،شرح المقاصد، تحقيق: عبد الرحمننط1،بيروت لبنان،1409هـ_1989م.
11_محمد يوسف موسى، القرآن والفلسفة، ط4، دار المعارف، القاهرة،1982م.
12_الزمخشري، الكشاف، مطبعة القاهرة،1354هـ.
13،الرازي، محمد بن عمر محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين، ط1، دار الكتاب العربي، 1402هـ_1984م.
14_أحمد بن حنبل الشيباني، مسند الإمام أحمد، مؤسسة القرطبة، مصر.
15_كمال الدين بن محمد غبن أبي يوسف، المسامرة شرح المسايرة، مطبعو السعادة، مصر،1347هـ.
16_نخبة من المؤلفين، المعجم الوسيط،، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان.
17_الإيجين عبد الرحمن عضد الدين، المواقف في علم الكلام، علم الكتب، بيروت _لبنان.
18محمد محي الدين عبد الحميد، النظام الفريد بتحقيق جوهرة التوحيد، ط2، مطبعة السعادة، مصر،1375هـ_1955م.
19_ الشهرستاني، محمد بن يوسف،نهاية الإقدام،تحقيق: الفريدكيو، لندن ،1964م.